239015 ـ وقفات مع قتل عثمان بن عفان ، وهل بين القتلة أحد من الصحابة ؟

السؤال

يقول الله في القرآن : بأنه رضي عن الصحابة في مواضع عدة ، بما فيها سورة الحشر في معرض حديثه عن " صلح الحديبية " ، وقد قال لي أحد الشيعة : بأن قاتل " عثمان " كان في هذه الجماعة ، ونحن نلعن قاتله ، وأنا غير متأكد مما إذا كانت تلك فرية ضد الصحابة صحيحة أم لا ، فيرجى توضيح الأمر .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حياته عثمانَ بن عفان أنه ستصيبه بلوى ، وأنه سيموت فيها شهيداً ، وعهد إليه بالصبر على تلك البلوى ، فأطاع عثمان رضي الله عنه نبيَّه ، ولم يخالف أمره ، ولم ينقض عهده .

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ادْعُوا لِي بَعْضَ أَصْحَابِي) ، قُلْتُ : أَبُو بَكْرٍ ؟ قَالَ : (لَا) ، قُلْتُ : عُمَرُ ؟ قَالَ : (لَا) ، قُلْتُ : ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ ؟ قَالَ : (لَا) ، قَالَتْ : قُلْتُ : عُثْمَانُ ؟ قَالَ : (نَعَمْ) ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : (تَنَحَّيْ) ؛ جَعَلَ يُسَارُّهُ وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا ، قُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تُقَاتِلُ ؟ قَالَ : لَا ؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا ، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ ".

رواه أحمد (40 / 297) وصححه المحققون .

وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ ... ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي : (افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ) فَإِذَا عُثْمَانُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ".

رواه البخاري (3490) ، ومسلم (2403) .

(حائط) بستان فيه نخيل .

ثانياً:

عندما حاصره الأوباش الظلمة في داره : عرض عليه الصحابة رضي الله عنهم أن يدفعوا عنه ، وأن يقاتلوا دونه : فأبى رضي الله عنه ، وأمرهم بالانصراف عنه ، طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عهد إليه ، وحتى لا يتسبب في قتل غيره ، وهو يعلم أنه المراد لا غيره .

قال ابن العربي المالكي – رحمه الله ـ :

وجاء زيد بن ثابت فقال له : إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصار الله مرتين ، قال عثمان : لا حاجة بي في ذلك ، كفوا .

وقال له أبو هريرة : اليوم طاب الضرب معك . قال : عزمت عليك لتخرجن .

وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عنده ، فإنه جاء الحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان ، فعزم عليهم في وضع سلاحهم وخروجهم ، ولزوم بيوتهم .

فقال له ابن الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا لا نبرح ، ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه في أصح الأقوال ، فقتله المرء الأسود " انتهى من " العواصم من القواصم "(ص 139 ـ 141) .

وكان قتله – رضي الله عنه ـ في صبيحة يوم الجمعة ، الثاني عشر من شهر ذي الحجة ، من السنة الخامسة والثلاثين للهجرة ، وذلك بعد حصار داره لمدة أربعين يوماً ، وكان سِنُّه عند قتله : اثنتين وثمانين سنة .

ثالثاً:

وقد نزَّه الله تعالى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون أحد منهم مشاركاً في قتل عثمان رضي الله عنه ، بل لم يكن أحدٌ من أبناء الصحابة مشاركاً ، ولا معيناً لأولئك الخوارج المعتدين ، وكل ما ورد في مشاركة أحد من الصحابة – كعبد الرحمن بن عديس ، وعمرو بن الحمِق ـ : فمما لم يصح إسناده .

1. قال ابن كثير – رحمه الله ـ :

وروى الحافظ ابن عساكر أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ، ولم يبق عنده سوى أهله : تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه ، وليس فيهم أحد من الصحابة ولا أبنائهم ، إلا محمد بن أبي بكر " انتهى من " البداية والنهاية " (7 / 207) .

وسيأتي التنبيه على عدم صحة مشاركة محمد بن أبي بكر بقتل عثمان رضي الله عنه .

2. وقال النووي – رحمه الله ـ :

" ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة " انتهى من " شرح مسلم " (15 / 148) .

3. وقال ابن كثير – رحمه الله ـ :

" وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله : فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقته ، وسبَّ من فعله ".

انتهى من " البداية والنهاية " (7 / 221) .

4. وسئل الشيخ عبد المحسن العبَّاد – حفظه الله ـ :

هل كان في الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه أحدٌ من الصحابة ؟

فأجاب :

" لا نعلم أحداً من الصحابة شارك في قتل عثمان " .

انتهى من " شرح سنن الترمذي " (شريط رقم 239) .

5. وقال الأستاذ محمد بن عبد الله غبان الصبحي – حفظه الله ـ :

" إنه لم يشترك في التحريض على عثمان رضي الله عنه ، فضلاً عن قتله ، أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، وأن كل ما رُوي في ذلك ضعيف الإسناد " .

انتهى من " فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه " (1 / 289) .

وهذا الكتاب من منشورات عمادة " البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، في المملكة العربية السعودية " ، وهو كتاب قائم على تحقيق الروايات الواردة في كل صغيرة وكبيرة في فتنة قتل عثمان رضي الله عنه ، وقد قام مؤلفه بحوار علمي حول الكتاب مع الشيخ الألباني رحمه الله كما تجده في أشرطة " سلسلة الهدى والنور " تحت رقم (404) .

رابعاً:

أما محمد بن أبي بكر : فليس هو من الصحابة أصلاً ، ثم إنه لم يصح اشتراكه في قتل عثمان ، ولا في التحريض عليه ، وقد أثبت بعض العلماء روايات تبين تراجعه عن المشاركة في قتل عثمان .

1. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله ـ :

" ليس له صحبة ولا سابقة ولا فضيلة ... فهو ليس من الصحابة ، لا من المهاجرين ولا الأنصار ... وليس هو معدودا من أعيان العلماء والصالحين الذين في طبقته ... " .

ثم قال : " وأما محمد بن أبي بكر فليس له ذكر في الكتب المعتمدة في الحديث والفقه .

انتهى من " منهاج السنة النبوية " (4 / 375 – 377) باختصار .

2. وقال ابن كثير – رحمه الله ـ :

" ويروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقه .

والصحيح : أن الذي فعل ذلك غيره ، وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان : لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها .

فتذمم من ذلك ، وغطى وجهه ، ورجع وحاجز دونه ، فلم يُفِد ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً "

انتهى من " البداية والنهاية "(7 / 207) .

3. وقال الأستاذ محمد بن عبد الله غبان الصبحي – حفظه الله ـ :

" محمد بن أبي بكر لم يشترك في التحريض على قتل عثمان رضي الله عنه ، ولا في قتله ، وكل ما روي في اتهامه بذلك : باطل لا صحة له " .

انتهى من " فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه " (1 / 290) .

رابعاً:

ولأجل ما تقرر من براءة الصحابة ـ قاطبة ـ من قتل عثمان ، مشاركة ، أو تسببا ، أو رضى ؛ فقد ثبت أن طائفة من الصحابة الأجلاء لعنت قتلة عثمان رضي الله عنه ، ووصفهم العلماء بما يليق بهم .

1. روى الإمام أحمد في " فضائل الصحابة " (1 / 455) بإسناد صحيح من طريق محمد بن الحنفية قال : " بلغ عليّاً أن

عائشة تلعن قتلة عثمان في " المربد " ، قال : فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال : وأنا ألعن قتلة عثمان ، لعنهم الله في السهل والجبل .

قال مرتين أو ثلاثاً " .

2. وقال النووي – رحمه الله ـ :

" وأما عثمان رضي الله عنه : فخلافته صحيحة بالإجماع ، وقُتل مظلوماً ، وقتلته فسقة ؛ لأن موجبات القتل مضبوطة ، ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه ... .

وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل ، وسفلة الأطراف ، والأرذال ، تحزبوا وقصدوه من مصر فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم ، فحصروه حتى قتلوه رضي الله عنه " .

انتهى من " شرح مسلم " (15 / 148 ، 149) .

3. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله ـ :

" وأما الساعون في قتله – يعني : عثمان ـ رضي الله عنه : فكلهم مخطئون ، بل ظالمون ، باغون ، معتدون ، وإن قُدِّر أن فيهم من قد يغفر الله له : فهذا لا يمنع كون عثمان قُتل مظلوماً " انتهى من " منهاج أهل السنَّة " (6 / 297) .

وقال – رحمه الله ـ :

" والذين خرجوا على عثمان : طائفة من أوباش الناس " .

انتهى من " منهاج السنة النبوية " (8 / 164) .

فتبين مما سبق : عدم مشاركة أحد من الصحابة رضي الله عنهم في قتل عثمان رضي الله عنه ، وأن من فعل ذلك فهو يستحق اللعن والسب ، وقد قتلوا جميعاً شر قتلة .

روى أحمد في " فضائل الصحابة " (1 / 501) بإسناد صحيح عن عَمْرة بنت أرطأة العدوية قالت : " خرجت مع عائشة سنة قتل عثمان إلى مكة ، فمررنا بالمدينة ، ورأينا المصحف الذي قتل وهو في حَجره ، فكانت أول قطرة من دمه على هذه الآية (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) قالت عمرة : فما مات منهم رجل سويّاً " انتهى .

وبذلك تعلم أنه يبقى الفضل الثابت للصحابة عموماً ، ولأهل بيعة الرضوان خصوصاً ، على ما هو عليه ، واستحقوا قول الله تعالى: (لقد رَضيَ اللهُ عَن المُؤمنينَ إذ يُبَايعونَك تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا في قُلوبِهم فأنزَلَ السَّكينةَ عَليهم وأثَابَهم فَتحًا قَريبًا) الفتح/ 18 .

وبه يتبين كذب ذلك الرافضي ، وإنما أتي من اغتراره بما يوجد في بعض كتب أهل السنَّة من مشاركة بعض الصحابة من أهل بيعة الرضوان في قتل عثمان رضي الله عنه ، وإنما هي من طرق ضعيفة أو باطلة :

أو يكون من روي عنه ذلك : لم تثبت صحبته – مثل كنانة بن بشر وحكيم بن جبَلة – أو لم تثبت مشاركته في قتل عثمان – كعمرو بن الحمِق وعبد الرحمن بن عُديس ، والخبر عنهما أنهما مشاركان في قتل عثمان جاء من طريق " الواقدي " المتروك ـ .

ولمن أراد مزيداً من التفاصيل فليرجع لكتاب ابن العربي " العواصم من القواصم " ، وكتاب ابن غبان الصبحي " فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه " ، وكتاب " حقبة من التاريخ " للشيخ عثمان الخميس .

والله أعلم .